

صينتها الملوكة<sup>(١)</sup> من الحسن والأدب والرونق ، وما أرى مثلها  
يكونان في موضع إلا كان حولها جلالُ السُّلكِ ووقاره ، مما  
يكون حولها من نور تلك الأم

فقال مسلم : وأنت على ذلك غير مُصدِّقٍ إذا قلت لك إنى  
لا أحب المرأة الجميلة التي تصف ، وليس بي هوى إلا في امرأة  
دميمة هي بدمامتها أحبُّ النساءِ إلى ، وأخفهن على قلبى ،  
وأصلحهن لى ، ما أُعِدِلَ بها ابنةٌ قيصر ولا ابنةٌ كسرى  
فبقى ابنُ أيمن كالشده من غرابة ما يسمع ، ثم ذكر أن  
من الناس من يأكل الطين ويستطيعه لفساد في طبعه ، فلا  
يحلوا السُّكر في فمه وإن كان مكرراً خالص الحلاوة . وَرَأَى  
أشدَّ الرثاء لأمِّ الغلامين أن يكون هذا الرجل الجِلْفُ قد  
ضارها<sup>(٢)</sup> بتلك الدميمة أو تسرّى بها عليها . فقال وما يملك  
نفسه : أما والله لقد كفرت النعمة ، وغدرت ووجدت  
وبالنت في الصُّر ، وإن أمَّ هذين الغلامين لامرأةٌ فوق النساءِ ،  
إذ لم يَتَيَّنَّ في ولديها أثرٌ من تغيُّسِ طبعها وكدرِ نفسها ، وقد  
كان يسمعها العذر لو جملتُهما سَخْنَةً عينك ، وأخرجتُهما للناس  
في مساوتك لا في محاسنك ، وما أدرى كيف لا تَبْدُ عليك ،  
ولا كيف صَلَّحَتْ بِمقدار ما فسدت أنت ، واستقامت بِمقدار  
ما التويت ، وعجيبٌ والله شأنُ نكاحِ إينها لتغلو في كرم الأصل  
والعقل والروءة والخلق ، كما تغلوا أنت في البهيمية والنزق والتندر  
وسوء المكافأة .

قال مسلم : فهو والله ما قلت لك ، وما أحب . إلا امرأة  
دميمة قد ذهبت في كلِّ مذهب ، وأنسقت كل جيلة في النساءِ ،  
ولئن أخذت أصفها لك لما جاءت الألفاظ إلا من القبح والشوهة  
والدمامة ؛ غير أنها مع ذلك لا تجيء إلا دالةً على أجل معانى  
المرأة عند رُجلها في الخطوة والرضى وجمال الطبع . وانظر كيف  
يلتم أن تكون الزيادة في القبح هي زيادة في الحسن وزيادة في  
الحب ، وكيف يكون اللفظ الشائه ، وما فيه لنفسى إلا المعنى الجميل ،  
وإلا الحسن الصادق بهذا المعنى ، وإلا الاهتزاز والطرب لهذا الحسن ؟

(١) تجيء هذه الكلمة في كتب الأدب والتاريخ على غير قاعدة النسب  
وهو الانسح في رأينا ، ومن ذلك تسمية الامام ابن جنى كتابه  
« التصريف الملوكة »

(٢) الضاربة أحماد الضرة على الزوجة .

## قبح جميل

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

دخل أحمد بن أيمن ( كاتب ابن طولون ) البصرة ، فصنع  
له مسلم بن عمران التاجر المتأدب صنيعاً دعا إليه جماعة من وجوه  
التجار وأعيان الأدياب ، فجاء ابننا صاحب الدعوة ، وهما غلامان ،  
فوقفا بين يدي أبيهما ، وجعل ابنُ أيمن يُعطِل النظرَ إليهما ،  
ويعجب من حسنهما ويزنهما وروائهما ، حتى كأنما أفرغوا في  
الجمال وزينته إفراغاً ، أو كأنما جاء من شمس وقر لا من أبوين  
من الناس ، أو هما قد نبتا في مثل تهاويل الزهر من زينته التي  
تُبدِعها الشمس ، ويصقلها الفجر ، ويتندى بها روحُ الماء  
المنب . وكان لا يصرف نظره عنهما إلا رجوع به النظر ، كأن  
جمالها لا ينتهى فما ينتهى الإعجاب به .

وجعل أبوهما يسارقه النظرَ مسارقة ، ويبدو كالشغل عنه ،  
ليدع له أن يتوسم ويتأمل ماشاء ، وأن يملأ عينيه مما أعجبه  
من لؤلؤيته ومخابيلها . يبيد أن الحسن الفنان يأبى دائماً إلا أن  
يسمع من ناظره كلمة الإعجاب به ، حتى لينطق المرء بهذه الكلمة  
أحياناً ، وكأنها مأخوذة من لسانه أخذاً ، وحتى ليحس أن  
غريرةً في داخله كلَّمها الحسن من كلامه فردت عليه  
من كلامها .

قال ابنُ أيمن : سبحان الله ؛ ما رأيت كالיום قطُّ دُمَيَّتَيْنِ  
لا تفتَحُ الأعينُ على أجلٍ منهما ؛ ولو زلا من السماء . وألبستهما  
الملائكةُ ثياباً من الجنة ما حسبتُ أن تصنع الملائكةُ أطرفَ  
ولا أحسن مما صنعتُ أمهما .

فالتفت إليه مسلم ، وقال أحب أن تعوذها . فد الرجل يده  
ومسح عليهما ، وعوذها بالحديث المأثور ، ودعا لهما ، ثم قال :  
ما أراك إلا استجذت الأمَّ كفسن نبلك ، وجاء كاللؤلؤ يشبه  
بعضه بعضاً ، صفارُه من كبارُه ؛ وما عليك ألا تكون قد  
تزوجت ابنةً قيصر فأولتها هذين ، وأخرجتُهما هي لك في

قال ابن أئمن : والله إن أراك إلا شيطاناً من الشياطين ، وقد مجمل الله لك من هذه اللامعة زوجتك التي كانت لك في الجحيم ، لتجتمعاً معاً على تمذيب تلك الحوراء اللائكية أم هذين الصغبرين ، وما أدري كيف يتصل ما بينكما بعد هذا الذي أدخلت من القبح والدمامة في معاشرتها ومعايشتها ، وبعد أن جعلتها لا تنظر إليك إلا بنظرها إلى تلك . أفتبينه هي لا تعقل ، أم أنت رجل ساحر ، أم فيك ما ليس في الناس ، أم أنا لا أفتقه شيئاً ؟

فضحك مسلم وقال : إن لي خيراً عجيباً : كنت أنزل « الأبله » وأنا متعشٍ فحملت منها تجارة إلى البصرة فريحت ، ولم أنزل أحمل من هذه إلى هذه فأربح ولا أخسر ، حتى كثر مالي ، ثم بدا لي أن أتسع في الآفاق البعيدة لأجمع التجارة من أطرافها ، وأبسط يدي للمال حيث يكتر وحيث يقل ، وكنت في ميعة الشباب وعُلوائله ، وأول هجمة الفتوة على الدنيا ، وقلت : إن في ذلك خلافاً ؛ فأرى الأم في بلادها ومعايشها ، وأتقلب في التجارة ، وأجمع المال والطرائف ، وأفيد عظة وعبرة ، وأعلم علماً جديداً ، ولعلني أصيب الزوجة التي أشبهها وأصور لها في نفسى التصاور ، فإن أمرى من أوله كان إلى علو فلا أريد إلا الغاية ، ولا أرى إلا للسبق ، ولا أرضى أن أتخلف في جماعة الناس . وكأني لم أرى في الأبله ولا في البصرة امرأة بتلك التصاور التي في نفسى ، فتأخذها عيني ، فتمجيني ، فتنصلي لي ، فتزوج بها . وطعمت أن أستنزل نجماً من تلك الآفاق أحرزه في داري ؛ فإزلت أرى من بلد إلى بلد حتى دخلت « بلخ » (١) من أجل مدن خراسان وأوسمها غلة ، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم ؛ وفيها يومئذ كان عالها وإمامها أبو عبد الله البلخي ، وكنا نعرف اسمه في البصرة ؛ إذ كان قد زلها في رحلته وأكثرت الكتابة بها عن الرواة والعلماء ؛ فاستخفني إليه نزية من شوقى إلى الوطن ، كأن فيه بلدى وأهلى ؛ فذهبت إلى حلقته ، وسمته يفسر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « سواد ؛ ولود خير من حسناء لا تلد . » فما كان الشيخ إلا في سحابة ، وما كان كلامه إلا وحياً يوحى إليه . سمعت والله كلاماً لا عهد لي

(١) موقعها اليوم في بلاد الأتقان .

بمثله ، وأنا من أول نشأتي أجلس إلى العلماء والأدباء وأداخلهم في فنون من المذاكرة ، فاسمعت ولا قرأت مثل كلام البلخي ، ولقد حفظته حتى ما فتوتني لفظه منه ، وبقى هذا الكلام يعمل في نفسى عمله ، ويدفنى إلى معانيه دفناً حتى أتى على ما سأحدثك به . إن الكلمة في الذهن لتوجد الحادثة في الدنيا .

قال ابن أئمن : إطور خبرك إن شئت ، ولكن اذكر لي كلام البلخي ، فقد تعلقت نفسى به .

قال سمعت أبا عبد الله يقول في تأويل ذلك الحديث : أما في لفظ الحديث فهو من معجزات بلاغة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو من أعجب الأدب وأبرعه ، ما علمت أحداً تدب به إليه ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم لا يريد السواد بخصوصها ، ولكن كفى بها عما تحت السواد ، وما فوق السواد ، وما هو إلى السواد من الصفات التي يتقبحها الرجال في خلقه النساء وصورهن ؛ فألطف التعبير ورق به ، رفماً لشأن النساء أن يصف امرأة منهن بالقبح والدمامة ، وتنزيهاً لهذا الجنس الكريم ، وتنزيهاً لسانه النبوي ؛ كأنه صلى الله عليه وسلم يقول : إن ذكر قبح المرأة هو في نفسه قبيح في الأدب ، فإن المرأة أم أو في سبيل الأمومة ؛ والجنة تحت أقدام الأمهات ؛ فكيف تكون الجنة التي هي أحسن ما يتخيّل في الحسن تحت قدمى امرأة ، ثم يجوز أدباً أو عقلاً أن توصف هذه المرأة بالقبح .

أما إن الحديث كالتص على أن من كمال أدب الرجل إذا كان رجلاً ألا يصف امرأة بقبح الصورة ألبسة ، وألا يجرى في لسانه لفظ القبح وما في معناه ، موصوفاً به هذا الجنس الذي منه أمه : أيود أحدكم أن يمزق وجه أمه بهتة الكلمة الجارحة ؟ .

وقد كان العرب يفصلون لمعانى اللامامة في النساء ألفاظاً كثيرة ؛ إذ كانوا لا يرفعون المرأة عن السائمة والناشية . أما أكل الخلق صلى الله عليه وسلم ، فما زال يوصى بالنساء ويرفع شأنهن ، حتى كان آخر ما وصى به ثلاث كلمات كان يتكلم بهن ، إلى أن تلجج لسانه وخفى كلامه ؛ فجعل يقول : « الصلاة . . الصلاة . وما ملكت أيمانكم ، لا تكلفوهم مالا يطيقون ؛ الله الله في النساء . »

تعاوره أفاظ الحسن والقبح .

وهذا الكمال في النفس ، وهذا الأدب ، قد نظف الرجل  
الفاضل من وجه زوجته الشوهاء الفاضلة ، لا الى الشوهاء ،  
ولكن الى الحور العين . لهما في رأى العين رجل وامرأة في  
صورتين متنافرتين جمالاً وقبحاً ؛ أما في الحقيقة والعمل وكال  
الايمان الروحيّ فعها إرادتان متحدتان تجذب إحداهما الأخرى  
جاذبية عشق ، وتلتقيان معاً في النفين الواسعتين ، المراد بهما  
الفضيلة وثواب الله والانسانية ؛ ولذلك اختار الامام أحمد بن  
حنبل عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل : من  
أعقلها ؟ . فقيل : العوراء . فقال : زوجوني إياها . فكأنت  
العوراء في رأى الامام وإرادته هي ذات المينين الكحيلتين ،  
لوفور عقله وكال إيمانه .

قال أبو عبد الله : والحديث الشريف بعد كل هذا الذى  
حكيناه يدلّ على أن الحب متى كان إنسانياً جارياً على قواعد  
الانسانية العامة ، متّسعاً لها غير محصور في الخصوص منها  
— كان بذلك علاجاً من أمراض الخيال في النفس ، واستطاع  
الانسان أن يحمل حبه يتناول الأشياء المختلفة ، ويردّ على نفسه  
من لذاتها ، فان لم يسعده شئ ، مخصوصه ، وجد أشياء كثيرة  
تُسعده بين السماء والأرض ، وإن وقع في صورة امرأته ما لا  
يُعبّد جمالاً ، رأى الجمال في أشياء منها غير الصورة ، وتعرّف  
إلى ما لا يُخفى ، فظهر له ما يُخفى ،

وليس العين وحدها هي التى تُؤامر في أى الشئين أجل ،  
بل هناك العقل والقلب ، لجواب العين وحدها ، إنما هو ثلث  
الحق . ومتى قيل « ثلث الحق » فضياع الثلثين يجعله في  
الأقلّ حقاً غير كامل .

فما نكبره من وجهه ، قد يكون هو الذى نجبه من وجه  
آخر ، إذا نحن تركنا الإرادة السليمة تعمل عملها الانسانيّ  
بالعقل والقلب ، وبأوسع النظيرين دون أضيقيهما « وعسى أن  
نكروهوا شيئاً ويحمل الله فيه خيراً كثيراً . »

\*\*\*

فروث ابن أعين ، وأقبل يدور في المجلس مما دخله من طرب  
الحديث ويقول : ما هذا إلا كلام الملائكة سمعناه منك يا ابن  
عمران . قال مسلم : فكيف بك لو سمعته من أبي عبد الله ؛ إنه  
والله قد جسيب إلى السوداء والقيحة والدميمة ، ونظرت لى

قال الشيخ : كأن المرأة من حيث هي إنما هي صلاةٌ تتبّد  
بها الفضائل ، فوجبت رعايتها وتلقّيتها بحمها . وقد ذكرها  
بعد الرقيق ، لأن الزواج بطبيته نوع ريق ؛ ولكنه حتم بها  
وقد بدأ بالصلاة ، لأن الزواج في حقيقته نوع عبادة .

قال الشيخ : ولو أن أمّا كانت دميعة شوهاء في أعين الناس  
لسكانت مع ذلك في عين أطفالها أجلّ من ملكة على عرشها ؛ ففي  
الدنيا من يصفها بالجمال صادقاً في حسه ولفظه ، لم يكذب في  
أحدها ، فقد اتقى القبح لذن ، وصار وصفها به في رأى العين  
تكديماً لوصفها في رأى النفس ، ولا أقلّ من أن يكون الوصفان  
قد تعارضا فلا جمال ولا دمامة .

قال الشيخ : وأما في معنى الحديث ، فهو صلى الله عليه  
وسلم يقرّر للناس أن كرم المرأة بأموئها ، فاذا قيل : إن في  
صورتها قبحاً فالجسد الذى لا تلبّد أقبح منها في المعنى . وانظر  
أنت كيف يكون القبح الذى يقال إن الحسن أقبح منه . . . !  
فمن أين تناولت الحديث رأيت دليلاً على تقدير أن لا قبح  
في صورة المرأة ، وأنها مترفة في لسان المؤمن أن توصف بهذا  
الوصف ، فان كلمات القبح والحسن لغةً بهيمية تجعل حب المرأة  
حبا على طريقة الهام ، من حيث تفضلها طريقة الهام بأن  
الحيوان على احتياسه في غرائزه وشهوته لا يتكذّب في الغريزة  
ولا في الشهوة بتلويها ألواناً من خياله ، ووضعها مرة فوق  
الحد ، ومرة دون الحد .

فأكبر الشأن هو للمرأة التى تجعل الانسان كبيراً في إنسانيته ،  
لا التى تجعله كبيراً في حيوانيته ، فلو كانت هذه الثانية هي التى  
يصطلح الناس على وصفها بالجمال فهي القبيحة لا الجميلة ، إذ يجب  
على المؤمن الصحيح الأيمان أن يمشي فيما يصلح به الناس ، لا فيما  
يصطلح عليه الناس ؛ فان الخروج من الحدود الضيقة للألفاظ  
الى الحقائق الشاملة هو الاستقامة بالحياة على طريقها المؤدى الى  
نعم الآخرة وثوابها .

وهناك ذاتان لكل مؤمن : إحداهما غائبة عنه ، والأخرى  
حاضرة فيه ، وهو إنما يصل من هذه الى تلك ، فلا ينبغي أن  
يحصر الباطية الواسعة في هذه الترابية الضيقة . والقبح إنما  
هو لفظ ترابيّ يشار به الى صورةٍ وقع فيها من التشويه مثل  
معاني التراب . والصورة فانية زائلة ، ولكن عملها باق ؛  
فالنظر يجب أن يكون المد الفجّل . فالعمل هو لا غيره الذى

بخير النظرين ، وقلت : إن تزوجت يوماً فإبأى جلالاً ولا قبحاً ، إنما أريدُ إنسانةً كاملةً مني ومنها ومن أولادنا ، والمرأة في كل امرأة ، ولكن ليس العقل في كل امرأة .

قال : ثم إنى رجعتُ إلى البصرة ، وآثرتُ السكنى بها ، وتعلّم الناس إقبالي ، وعلمتُ أنه لا يحسنُ بي المقامُ بغير زوجة ، ولم يكن بها أجلٌ قدرًا من جدِّ هذين الغلامين . وكانت له بنتٌ قد عصلها وتعرّضَ بذلك لعداوةٍ خطاياها ، فقلت : ما لهذه البنتِ بد من شأن ، ولو لم تكن أكل النساء وأجلهن ، ما ضنَّ بها أبوها رجاءاً أن يأتيه من هو أعلى ، فحدثتني نفسى ببقائه فيها ، فحُتته على خلوة ...

فقطع عليه ابنُ أيمن وقال : قد علمنا خبرها من منظر هذين الغلامين ، وإنما يزيدُ من خبر تلك الدميمة التي تمسّقتها

قال : مهلاً فستنهي القصةُ إليها . ثم إنى قلت : يا عم ، أنا فلان بن فلان التاجر . قال : ما أخفى عنى عمك وعملُ أيك . فقلت : جشكُ خاطباً لابنتك . قال : والله ما بي عنك رغبة ، ولقد خطبها إلى جماعة من وجوه البصرة وما أحببتهم ، ولاني لكارهٌ من إخراجها عن حِضْنِي إلى من يقوّمها تقويم البييد . فقلت : قد رفعها الله عن هذا الموضع ، وأنا أسألك أن تدخلني في عددك ، وتخلّطني بشمك . فقال : ولا بد من هذا ؟ قلت : لا بد . فقال : أئعد على رجالك .

فانصرفت منه إلى ملاً من التجار ذوى أخطار ، فسألهم الحضور في غدر . فقالوا : هذا رجلٌ قدرد من هو أرى منك ، وإنك لتحرّكنا إلى سئى ضائع . قلت لا بد من ركوبكم مى . فركبوا على ثقة من أنه سيردّم .

فصاح ابنُ أيمن ، وقد كادت روحه تخرج : فذهبت فزوّجك بالجميلة الراقمة أم هذين ، فما خبر تلك الدميمة ؟

قال مسلم : ياسيدي قد صبرت إلى الآن ، أفلا تصبر على كلمات تَنبُئُكَ من ابن يبدأ خبر الدميمة ، فإني ما عرفتها إلا في المرّس .

قال : وغدونا عليه فأحسنَ الاجابة وزوجني ، وأطمم القوم ونحر لهم ، ثم قال : إن شئت أن تبيت بأهلك فافعل ، فليس لها ما يحتاجُ إلى التلوّم عليه وانتظاره .

فقلت : هذا ياسيدي ما أحبه . فلم يزل يُحدّثني بكل حسن

حتى كانت المغرب ، فصلاها بي ، ثم سيح وبتحت ، ودعا ودعوت ، وبقي مقبلاً على دعائه وتسيحه ما يلتفت لغير ذلك ، فاستنى - علم الله - كأنه يرى أن ابنته مقبلةٌ مني على مسيبة ، فهو يتضرّع ويدعو . ثم كانت المئمة فصلًاها بي ، وأخذ يبدى فأدخلني إلى دار قد فرشتُ بأحسن فرش ، وبها خدم وجوار في نهاية من النظافة . فلما استقرتُ بي الجلوس حتى نهض وقال : أستودعك الله ، وقدم الله لكما الخير وأحرز - التوفيق .

واكتنفتي عجائزٌ من شملي ، ليس فيهن شابة إلا من كانت في الستين . . . فنظرت فإذا وجوه كوجوه الوقي ، وإذا أجسام بالية يتضام بمضها إلى بمض ، كأنها أطلال زمن قد انقضت بين يدي .

فصاح ابنُ أيمن : وإن دميكتك لمجوز أيضاً ... ؟ ما أراك يا ابن عمران إلا قتلت أم الغلامين ... !

قال مسلم : ثم جَلَوْنَ ابنته على وقد ملأني عيني همرماً وموتاً وأخيلة شياطين وظلال قروود ؛ فما كدت أستفيق لأرى زوجتي ، حتى أسرعت فأرختين الستور علينا ؛ فحمدت الله لذهابهن ، ونظرت .

وصاح ابنُ أيمن وقد أكله النياط : لقد أطلت علينا فتَحَكِي لنا قصتك إلى الصباح ، قد علمناها ، فما خبر الدميمة الشوها ؟

قال مسلم : لم تكن الدميمة الشوها إلا العروس ! ...

\*\*\*

فراغت أعين الجماعة ، وأطرق ابنُ أيمن لإطراقة من ورد عليه ماجيره . ولكن الرجل مضى يقول : ولما نظرنا لم أر إلا ما كنتُ حفظته عن أبي عبد الله البلخي ، وقلت : هي نفسى جاءت بي إليها ، وكان كلام الشيخ إنما كان عملاً يعمل في ويدبر ، ويصرفني . وما أسرع ما قامت المسكينة فأكبّت على يدي وقالت :

« ياسيدي ، إنى سرّ من أسرار والدي ، كتبه من الناس وأفضى به إليك إذ رأك أهلاً لستره عليه ، فلا تخفّر ظنه فيك . ولو كان الذي يُطلب من الزوجة حسن صورها دونُ حسن تديرها وعفاها لمعظمت محنتي . وأرجو أن يكون

صغرى من التاريخ

## ميدان القيق

بين السعد والخمس

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

صف لي ملاهى قوم من الأقوام أصف لك خلقهم ونصيبهم من الحياة - وإذا أخطأتى حظ الامابة مرة لم يكن الخطأ إلا مؤقتاً ، ويكون تطاول الأيام كفيلاً بتحقيق ما أتوقع - وليس ذلك ناشئاً من أن الله قد وهبى ما لم يهب سواى من قدرة على التكهن أو التنبؤ ، بل هى مجارى الأقدار تنساق فى سبيل لا حيلة فى الحيد عنها ، ولا وسيلة إلى الانفلات منها .

وقد علمت أن الرومان أقبلوا على ملأه يقشعرون بدن الانسانية من تصور ما كان يجرى فيها من فظائع . وايمان الحق ما كان لاصريء ان يتنبأ لشعب الرومان إلا بالانحدار والانحلال ما دامت نفوسهم لا تهتز إلا بسفك الدماء ، ولا ترتاح إلا إلى مناظر الوحشية . وقد رأيت ماتم عليه آثار مدينة بومبي من هوى إلى سحق اللسارة ، وما كان لك أن تتطلع فى مستقبل ذلك الشعب إلا إلى نزول وهبوط ، إذ أن النفوس لا تلهو إلا بما صرنت عليه واطأنت إليه وسرى فى عاداتها وتغلغل فى حياتها . وللحياة القوية مطالب وتكاليف ، إذا اعتادت النفوس القيام عليها صارت لنفسها فى مبايرتها . ودونك من الشعوب القوية ما يوضح ذلك أتم ليضاح ، فذلك شعب الانجليز ترى لذة شبانه وكهوله فى ممارسة الرياضة بأنواعها ، والجولان فى البحر والبر والهواء ، يجدون اللذة القصوى فى مقارعة الأخطار ومقابلة العقبات . وإذا شئت مثلاً آخر فلن تموزك التل ، فالشعوب القوية والله الحمد كثر فى كل عصر ، ولن ترى شعباً قوياً تنزوه به الحياة وتثب به القوة إلا رأيت لذته فى مثل مقارعة الخطوب ومنازلة قوى الطبيعة . ولقد كان لنا آباء - رحمهم الله - لم يكونوا من المتخلفين فى ميدان الحياة . بل كانوا حماة عصرهم وسادة جيلهم . ولست

سمى منها أكثر مما قصر بي فى حُسن الصورة ؛ وسأبلغ محبتك فى كل ما تأمرنى . ولو أنت آذيتنى لعددت الأذى منك نعمة ، فكيف إن وسعنى كرمك وسترك ؟ إنك لا تعامل الله بأفضل من أن تكون سيباً فى سعادة بائة مثل . أفلا تحرص ياسيدى على أن تكون هذا السبب الشريف ؟

ثم إنها وثبت فجاءت بمال فى كيس وقالت : ياسيدى ، قد أحل الله لك مئى ثلاث حرائر وما آثرته من الاماء ؛ وقد سوغتلك تزويج الثلاث وابتيع الجوارى من مال هذا الكيس ، فقد وقفت على شهواتك ، ولست أطلب منك إلا ستري فقط .

\*\*\*

قال أحمد بن أيمان : فحلف لى التاجر : إنها ملكت قلبى ملكاً لا تصل إليه حسناء بحسنا ، فقلت لها : إن جزاء ما قدمت ما تسمينه منى : « والله لأجعلنك حظى من دنياى فيما يؤثره الرجل من المرأة ، ولأضربن على نفسى الحجاب ما تنظر نفسى إلى أنى غيرك أبدا . » ثم أتمت سرورها فحدثتها بما حفظته عن أبى عبد الله البلخى . فأيقنت والله يا أحمد أنها زلت منى فى أرفع منازلها ، وجعلت تحسن وتحسن كالنصن الذى كان مجرداً ثم وخرته الخضرة من هنا ومن هنا . وعاشرها فاذا هى أضبط النساء ، وأحسنهن تدبيراً ، وأشفقهن على ، وأجسهن لى ؛ وإذا راحتى وطاعنى أول أمرها وآخره ؛ وإذا عقلها وذكاؤها يظهران لى من جمال معانيها ما لا يزال يكثر ويكثر ، فجعل القبح يقل ويقل ، وزال القبح باعتيادى رؤيته ، وبعيت المعانى على جالها ؛ وصارت لى هذه الزوجة هى المرأة وفوق المرأة .

ولما ولدت لى جاء ابنها رائح الصورة ، فحدثتني أنها كانت لا تزال تسمى على كرم الله وقدرته أن تزوج وتلد أجمل الأولاد ، ولم تدع ذلك من فكرها قط ، وألّف لها عقلها صورة أجمل غلام تتمشله ومبارحت تتمشله . فاذا هى أيضا كان لها شان كشرانى ، وكان فكرها عملاً يعمل فى نفسها ، ويديرها ويصرفها .

ورزقتى الله منها هذين الابنيتين الرائيتين لك ، فانظر أى معجزتين من معجزات الايمان . ما

مصطفى صادق الرافعى

نظما